

## الأسلوبية وتحليل الخطاب

## تحليل الخطاب/ضبط مفهومي النص والخطاب

## تمهيد

لقد باتت تشابك العلوم و تداخل مجالاتها البحثية سمة الدرس المعرفي الحديث، فالعلوم في اقتربها من حقيقة الظاهرة المدروسة تفتح أمامها فضاءات أخرى للبحث، قد تكون متصلة أو متشابكة مع غيرها، فتزيد وقتئذ إشكالية البحث تشعباً أو غموضاً .

كذلك أصبح مجال تحليل الخطاب اليوم نقطة التقاء وتقاطع العديد من المعارف والعلوم كعلوم اللغة، والاجتماع، و السياسة، والفلسفة، والتاريخ، والأدب، والإحصاء، والرياضيات، فضلاً عن علوم الإعلام، ووسائل الاتصال، والدراسات الثقافية و الأدبية، و غيرها، فلم تعد لهذا المجال حدوداً تفصله عن هذه الدوائر المعرفية المتباينة، الأمر الذي «جعله متعدد المستويات، عميق البنى... فهناك الخطاب الشعري، والخطاب السردي، والخطاب النقدي، وحتى خارج مجال الأدب هناك الخطاب الديني، والخطاب السياسي، والخطاب التاريخي، هذا ما يسمح بأن تقوم نظرية عامة تهتم بدراسة الصلات الموجودة بين أنواع الخطاب داخل الجنس الواحد، وحتى في ما بينها و بين خطابات أخرى»<sup>1</sup>.

وعلى هذا الأساس اكتسبت كلمة خطاب عدة دلالات لها علاقة بما يدور في المشهد الثقافي المعاصر، كما أن هذه الكلمة (خطاب) «أصبحت متداولة بكثرة في الأوساط الثقافية العربية، وتؤدي معان لم تكن معروفة في اللغة العربية، رغم أنها كلمة قديمة»<sup>2</sup>، لكن الاهتمام المتزايد بها جعلها مصطلحاً مهماً، يندرج ضمن فئة المصطلحات المعربة أو الدخيلة، والتي « تشير حقوقها الدلالية إلى معان وافدة، ليست من قبيل الانبثاق الذاتي في الثقافة العربية»<sup>3</sup>.

وقد أثار تحديد مفهوم الخطاب اهتمام المشتغلين في حقل النقد و تحليل الخطاب، في الثقافتين العربية و الغربية، ولعلّ خير دليل على ذلك كثرة المؤلفات في هذا المجال.

وعلى هذا الأساس كان لزاماً علينا ونحن نخوض في مساق "تحليل الخطاب" أن نبين الخلفيات المعرفية والمنهجية التي يتأسس عليها كحقل معرفي إجرائي ذي نزعة استراتيجية عبر تخصصية ، تجعل الباحث متوزعاً بين النظريات المعرفية، وبين المناهج العلمية والفلسفية واللسانية، متورطاً في غالب الأحيان في تلفيقات لا نهاية لها.

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي، النقد و الحدأة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983، ص 33.

<sup>2</sup> جابر عصفور ، خطاب الخطاب ، آفاق العصر ، ص 47 ، نقلاً عن : عليمه قادري ، التداولية و صيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلية ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء و النص الأدبي " ، 17 و 18 نوفمبر 2008 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص 599.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

ولذلك سوف نبدأ بتفكيك المصطلح إلى وحداته الأساسية، لتبيّن آليات مفهمته وكفيات بنائه عبر لغة واصفة متماسكة، هي بمثابة شبكة من أدوات التحليل والقراءة محكمة برؤية العالم، تُنبئ عن طبيعة "المنهج المركب التحويلي" الذي تتطلبه الظاهرة الخطابية، من حيث تشابكها وتعقدها وتحولها، الذي يفند خطيتها باستمرار<sup>1</sup>.

## 1- التحليل

ورد في "المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة" مفهوم التحليل كالآتي:

«التحليل هو عكس التركيب وهو إرجاع الكل إلى أجزائه. والتحليل كمنهج فلسفي يقوم على فكرة أنّ الواقع مركب ضخم يمكن تحليله إلى مكونات عقلية ومادية، كلية أو أحادية، واكتشاف العلاقات بينها، حتى يمكن تسميته بـ (تفكير في شكل علاقات). والتحليل هو اكتشاف مكونات الكلي المعقد والعلاقات بينها»<sup>2</sup>.

## 2- الخطاب

المفهوم اللغوي له هو: «توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، وقيل هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه. والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع المنطوق على مدلولها القائم بالنفس (الكلام النفسي)»<sup>3</sup>.

فالخطاب في بنيته علائقي؛ أي يتحقق في ضوء العلاقة والتداخل القائم بين الكلام النفسي والكلام المنطوق، ثم يمرّ إلى نسج علاقة أخرى مع الآخر في حدود العلاقة مع السياق الذي يحكم الأداء التواصلية. وعليه فإنّ تحليل الخطاب، كما يتكشف لنا بداية، هو اكتشاف لـ: إواليات (أو ميكانيزمات) الكلام في إعطاء البعد التداولي والتواصلية للحياة، ورصد لكيفيات (إنجاز اللغة/إنجاز التجربة/إنجاز الحياة) لإعطاء وإضفاء معنى على العالم (الذي هو منجز إنساني)<sup>4</sup>.

لنعد الآن إلى تتبع تاريخية تحليل الخطاب، ومناقشة المفاهيم التي قدمت له من طرف الفلاسفة والمفكرين واللسانيين، والتمعن في كيفية اشتغال هذه المفاهيم في فضاءات معينة؛ لمية وإيديولوجية، وهل هناك صيرورة معينة، أو قل نظامية تتحكم في صياغة المفاهيم وفق مسار اتصالي لا انقطاعي.

<sup>1</sup> ينظر: شرف الدين شناف، محاضرات في تحليل الخطاب، جامعة باتنة، 2007-2008، ص1.

<sup>2</sup> المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، نقلا عن: شرف الدين شناف، محاضرات في تحليل الخطاب، جامعة باتنة، 2007-2008، ص1.

<sup>3</sup> المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص330، 331، نقلا عن: شرف الدين شناف، محاضرات في تحليل الخطاب، جامعة باتنة، 2007-2008، ص1.

<sup>4</sup> شرف الدين شناف، محاضرات في تحليل الخطاب، جامعة باتنة، 2007-2008، ص1.

يعد مصطلح **الخطاب Discours** من المصطلحات التي ارتبط ظهورها في الثقافة العربية بمقل علم الأصول، هذا الحقل \_ نتيجة التطور الحضاري \_ أصبح بمثابة الدائرة التي تمحورت حولها القراءات الخاصة بالثقافة العربية، فكانت المصطلحات التي تركز عليها في دراستها متأثرة به<sup>1</sup>، وما الخطاب إلا أحد أبرز النماذج الدالة على الأثر الذي تركته الأصول في توجيه المصطلح<sup>2</sup>، وقد ورد مصطلح الخطاب في المعجم العربي، وفي القرآن الكريم بمعنى "الكلام".

فالخطاب لغة: من خطب فلان إلى فلان فخطبه أو أخطبه؛ أي أجابه، و الخطاب و المخاطبة: مراجعة الكلام و قد خاطبه بالكلام مخاطبة، و هما يتخاطبان و الخطب: سبب الأمر...<sup>3</sup>، وجاء فيه أيضا: الخطاب مادة لغوية على وزن فعال مشتقة بالتحويل عن الفعل الثلاثي خطب و منه خطب و جمعه خطوب: الأمر أو الشأن<sup>4</sup>، و جاء في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ [سورة ص آية 20]، يقول الزمخشري: «إن فصل الخطاب في الآية إنما هو البين من الكلام الملخص، الذي يتبينه من يخاطب به، ولا يلتبس عليه»<sup>5</sup>؛ أي أنه كلام واضح لا يعتره أي غموض أو لبس، ولا يقبل التأويل، كما وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَابْنٌ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ﴾ [سورة ص آية 23]، و قال أيضا: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [سورة النبا آية 37] وجاء بمعنى الأمر و الشأن، وسمي كذلك لأنه الشأن الذي يكون فيه التخاطب و تبادل أطراف الحديث، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة الحجر آية 57]، إذ جريا على الأصل يفترض الكلام أكثر من طرف.

فإذا ما ولينا وجهة البحث عن مفهوم "الخطاب" في التراث النقدي العربي القديم لا نكاد نظفر بتعريف محدد مباشر، ذلك أن النقاد لم يتداولوا بينهم هذا المصطلح، وإنما تحدثوا عن القصيدة، معتمدين في ذلك على معيار كمي معين، إلا أننا نلمح في مؤلفات الزمخشري و الزركشي ربطا للخطاب باللغة الفنية، لغة التعبير الأولى و المواجهة بالكلام، فحصر مفهومه في «الكلام أو المقال، وعد كيانا أفرزته علاقات معينة، بموجبها التأمّت أجزاءه، و قد تولد عن ذلك تيار يعرف الملفوظ الأدبي

<sup>1</sup> عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر - مقارنة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2005، ص 329.

<sup>2</sup> عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص98، 99.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة: خطب، دار صادر، بيروت، ط1، 1955، 361/1.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص360.

<sup>5</sup> جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987، مج 4 ص 80، نقلا عن: عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، ص 99.

بكونه جهازا خاصا من القيم، طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته، وهو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنية ألسنية تتجاوز مع السياق المضموني تجاوزا خاصا»<sup>1</sup>.

وأما في النقد العربي الحديث فنقف على إسهامات أهم النقاد في مجال تحليل الخطاب، فيصفه عبد المالك مرتاض بأنه «نسخ من الألفاظ، و النسخ مظهر من النظام الكلامي، الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن سواه»<sup>2</sup>، أما يميني العيد فتجعل الخطاب نوعان «الأول يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها، وهو النص الأدبي، ويخرج الثاني من اللغة ليندرج تحت سياق العلاقات الاجتماعية، ويضطلع بمهمة توصيل الرسالة الجديدة، وهو الخطاب»<sup>3</sup>، في حين يورد محمد مفتاح تعريفا للنص أقرب إلى مفهوم الخطاب، فهو يجمع بين عدة تصورات للنص نظرا للوظائف التي يؤديها، فالنص «مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة :

للـمدونة كلامية : يعني أنه مؤلف من الكلام ، وليس صورا فوتوغرافية، أو رسما أو عمارة أو زيا...وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها هندستها في التحليل .

للـحدث : يقع في زمان و مكان معينين، لا يعيد نفسه إعادة مطلقة، مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي .

للـتواصل : يهدف إلى توصيل معلومات و معارف و نقل تجارب إلى المتلقي .

للـتفاعلي : بإقامة علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع و المحافظة عليها.

للـمغلق : بانغلاق سمته الأيقونية التي لها بداية و نهاية ، و لكنه من الناحية المعنوية :

للـتوالدي : فالحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم، وإنما هو متولد من أحداث تاريخية و نفسية و لغوية... و تتناسل

منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له «<sup>4</sup>.

## ◀ في الثقافة العربية

أصبح الخطاب في العصر الحديث مجال اهتمام الفلاسفة والمفكرين الغربيين، من أبرزهم ميشال فوكو (Foucault)<sup>5</sup>، الذي يرى أن الهدف المتوخى من دراسة الخطاب هو إثبات تميزه عن غيره، في محاولة البحث عن مدى إحكام نسيجه المترابط، فلا بد من درس الخطاب دون تعديته للعناصر الخارجية الداخلة في تشكيله، مما يجعله لا يحيل على أي مرجع أو مركز إحالي؛

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1982، ص 110 .

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان بمنية للشاعر عبد العزيز المقالح، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1986، ص 53 .

<sup>3</sup> رابح بوحوش، الأسلوبية و تحليل الخطاب، منشورات باجي مختار، عنابة، دت، ط1، ص 90.

<sup>4</sup> محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري ( إستراتيجية التناسل )، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1985، ص 120.

<sup>5</sup> ميشال فوكو (1926 - 1984) فيلسوف فرنسي، يعد من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، توصف أعماله من قبل النقاد بأنها تنتمي إلى "ما بعد الحداثة" أو "ما بعد النبوية"، على أنه في الستينيات من القرن الماضي كان اسمه غالبا ما يرتبط بالحركة النبوية، أهم مؤلفاته: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي (1961)، ولادة العيادة (1963)، الكلمات والأشياء (1966) حفريات المعرفة (1969)، نظام الخطاب (1971)، المراقبة والمعاقبة (1975)، تاريخ الجنسانية في 3 أجزاء (1984). توفي عام 1984 .

بل إن «النظام الداخلي لهذا الخطاب هو الذي يقوم بعملية التأطير، فيكون معجماً بذاته مكتفياً بالصلات التي تربطه مع غيره من الأنظمة و الأنساق، فيكون الخطاب انطلاقا من هذا الأفق ممثلاً لغويا للبنية الثقافية للحقبة التي أنتج فيها»<sup>1</sup>.

وقد انطلق فوكو في تعريفه للخطاب من تحديد جملة شروط إذا توفرت سهّل إبراز ما يكون منطوقاً فيه، أي ذلك المجموع أو الكل الذي يوجد فيه المنطوق، فلا تظهر فرادته إلا ضمن إطار هذا الكل، ليصل الخطاب إلى التشكل انطلاقا من انتظام المنطوق داخل ذلك الكل، الذي يعد بمثابة التشكيكية الخطابية<sup>2</sup>.

كما استند في دراسته على أساس المقارنة بين منهجين "تحليل الفكر و تحليل الخطاب"، إذ يرى بأن "تحليل الفكر" يسعى إلى استخراج الدلالة الخفية المتوارية خلف المعنى المجازي، وبذا فهو يبحث عما وراء الخطاب، وهدفه كشف: ماذا كان يقال وراء ما قيل فعلاً؛ أي كشف المسكوت عنه من خلال المقول فعلاً. أمّا "تحليل الخطاب" فينظر إلى العبارة على أنها غاية في حد ذاتها، مكتفية بذاتها، مستغنية عن غيرها. لذا فالتحليل يتركز على العلاقات القائمة بين العبارات، ومدى الترابط الموجود بينها، وصولاً إلى تحديد نظام الخطاب ككل. فيكون الهدف من تحليل الخطاب إبراز فرادته، ومدى إحكام نسيجه، الذي يعتمد على علاقات الترابط والنظام الداخلي كما سبق الذكر<sup>3</sup>.

هكذا يبدو فوكو من مؤسسي البنيوية، إذ تعنى حفريات المعرفة عنده بالخطاب بعيداً عن المؤثرات الخارجية، التي ساهمت في تشكيله. كما لا تعد مبحثاً تأويلياً أو مجازياً ما دامت لا تسعى للكشف عن الدلالات المضمرة القابعة خلفه، كما أنها لا تهتم بضروب الاتصال التي تربط الخطابات بما يسبقها أو يحيطها و يلحقها من خطابات أخرى؛ بل تسعى إلى إبراز القواعد التي تستند إليها الخطابات، قصد الوقوف عند الفوارق و الاختلافات الموجودة بين صيغ الخطاب و مظاهره، مما يجعلها بعيدة عن الدراسات النفسية والاجتماعية، التي تبذل قصارى جهدها في استكناه ما خفي من الدلالة داخل نص الخطاب.

بهذا يكون فوكو قد وضع اللبنات الأولى التي أسس بها سوسير اللسانيات الحديثة، إذ يفضي البحث، انطلاقا من مؤلفاته، إلى إلغاء تمثيل الكلمات للأشياء، فتصبح الكلمات لا تعني شيئاً، وإنما أصبحت لسان حالها، وهي ليست أكثر من ناقل أمين لمختلف الأشياء، ليكون الخطاب عنده «ممارسات تكون وبكيفية منسقة الموضوعات التي نتكلم عنها، وبطبيعة الحال لا خطابات بدون إشارات»<sup>4</sup>.

لقد توصل فوكو إلى أن الخطاب «هو ميدان التحليل، وهو ضرب من تضافر الإشارات، تكون اللغة فيه عنصراً تمثيلاً بين عناصر إشارية أخرى»<sup>5</sup>، كما أن الأصل، بالنسبة إليه، هو الكلام المكتوب لا المنطوق يقول: «ما وضعه الله في العالم هو الكلمات المكتوبة، عندما فرض آدم على الحيوانات أسماءها الأولى، لم يفعل سوى أن قرأ العلامات المرئية الصامتة، وقد عهد

<sup>1</sup> عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة، ص 331، 332.

<sup>2</sup> عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، ص 104.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1986، ص 47.

<sup>5</sup> عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، ص 107.

الشيعة إلى ألواح مكتوبة، لا إلى ذاكرة البشر، والكلمة الحقة يجب العثور عليها في كتاب»<sup>1</sup>، فقد حلّ الكتاب عنده محلّ الذاكرة، وحلّ الخطاب محلّ الإنسان، وسبق المنطوق دوماً المكتوب.

كذلك استقطب مصطلح الخطاب اهتمام الألسنيين الغرب، إلا أنه واجه إشكالات عدة، ومن أهم تلك الإشكالات المطروحة إشكالية ضبط حدوده، فقد «أصبحت مشكلة الخطاب من خلال علم اللغة مشكلة حقيقية» كما يقول بول ريكور<sup>2</sup>، فقد وقفت اللسانيات الوصفية، كما هو معلوم، عند حدود الجملة لا تتعداها، على اعتبار أنها الوحدة الأكبر القابلة للوصف، وقد كانت مصب اهتمام نحائنا العرب، كما كانت محور اهتمام المدارس الوصفية والتحويلية التوليدية فيما يعرف بنحو الجملة.

والجملة من منظور اللسانيات ليست مجرد سلسلة من الكلمات تتتابع أفقياً فحسب؛ بل هي نظام، لذلك فإن الخطاب، من وجهة نظر لسانية، لا يتضمن شيئاً إلا و يوجد في الجملة. يرى مارتيني «أنها المقطع الأكثر صغراً، وأنها هي التي تمثل الخطاب تمثيلاً تاماً»<sup>3</sup>، و مبررهم في ذلك أن ما وراء الجملة ليس سوى جمل أخرى، تنبني وفق القواعد نفسها التي تفرضها اللغة، فليس ثمة ما يستدعي الانشغال بما وراءها.

ولما كانت الجملة في اللسانيات هي الوحدة الأكبر التي يطالها الوصف، فذلك معناه أنها تتضمن وحدات صغرى تخضع للوصف بالضرورة، فالكلمة الواحدة تتضمن وحدات أصغر هي المورفيمات، وهو ما يسمح بتصنيف تلك الوحدات إلى درجات (الجملة/ الكلمة/المورفيم)، ومنه يمكن القول: إن درجات الوحدة العليا مركبة من وحدات الدرجة السفلى، وأن وحدات الدرجة العليا يمكن تحليلها إلى وحدات الدرجة السفلى<sup>4</sup>.

إن اهتمام الباحثين الألسنيين بالجملة، و دعوتهم لعدم تخطي حدودها مرده، حسب رأيهم، إلى ما يؤديه تجاوزها من اضطراب في المصطلحات والمفاهيم، بدء من التسمية التي ستأخذها "الوحدة" خارج حدود الجملة، والتي هي عند بعض الدارسين الملفوظ، وعند آخرين الخطاب، أو قد تعني النص<sup>5</sup>.

لكن هذا الطرح اللساني الداعي إلى استقلالية الجملة لم يقنع الباحثين في مجال تحليل الخطاب، أمثال ج ب براون (G. Brown)، و ج يول (G. Yule)، لذلك عمداً إلى تبني التقسيم الثاني، الذي وضعه جون ليونز للجملة، وهو: «جملة نظام: وهي عنده بعض شكل الجملة المجرد، الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما»<sup>6</sup>، وهذا ما يجعل الجملة أكثر استقلالية.

<sup>1</sup> ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، تر: مطاع صفدي و آخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص 55.

<sup>2</sup> بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط 1، 2003، ص 24.

<sup>3</sup> رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، دط، 1993، ص 30.

<sup>4</sup> سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دط، 1989، ص 16.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>6</sup> الأزهر زناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1993، ص 14.

« جملة نصية: ويعني بذلك الجملة المنحزة فعلا في المقام »<sup>1</sup>، وهي تتسم بالتواصل مع جملة أخرى يحتويها نص ما... هذا النوع من الحمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل<sup>2</sup>.

وقد ورد في كتابهما " تحليل الخطاب " قولهما: « سنستعمل مصطلح الجملة عامة، بمعنى "الجملة النصية" لا بمعنى "الجملة النظامية" »<sup>3</sup>. كذلك ظهرت اتجاهات في الغرب تنادي بضرورة تجاوز حدود الجملة في الدراسة، ولعله «التحول الأساس الذي أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية والتركيبية، التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية : البنيوي، الدلالي، والتداولي»<sup>4</sup>.

ويعد البحث الذي نشره زليغ هاريس (Z.Haris) عام 1952 بعنوان "تحليل الخطاب" المحاولة الأولى نحو توسيع البحث اللساني، يجعله يتعدى حدود الجملة إلى الخطاب بمعناه الأوسع، يقول: «إن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة؛ بل في نص متماسك»<sup>5</sup>. وقد حاول بذلك الوصول إلى وصف بنيوي للنصوص، مع تجاوز لما أرسته الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية إلى الاعتماد على ركيزتين أساسيتين في تحليل الخطاب، هما :

1-العلاقات التوزيعية بين الجمل .

2-الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي<sup>6</sup>.

يسعى هاريس إلى تحليل الخطاب انطلاقا من التصورات والأدوات التي تحلل بها الجملة، فيصف الخطاب «بأنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»<sup>7</sup>.

هكذا عدَّ هاريس الخطاب توليفا من الجمل، كما يتموضع الخطاب عنده وفقا للسلمية البنيوية للعناصر اللغوية مباشرة بعد الجملة، بدءا بالفونيم، ثم المقطع، ثم المونيم، ثم المورفيم، فالجملة، ثم النص المؤلف.

ويلتقي معه في فكرة التسلسل و التتابع جون كارون ( J. Caron )، إذ يعرف الخطاب بأنه : «متتالية منسجمة من الملفوظات»<sup>8</sup>.

كما نظر هاريس إلى الخطاب انطلاقا من نمط العلاقة التي يقيمها مع النحو، إذ يسعى إلى « وصف الوحدات اللسانية وتحديدتها في لسان ما في شكل أقسام أو فئات نحوية، بعد استخراجها من المدونة»<sup>9</sup>، وبالتالي عدَّ الخطاب نموذجا من النحو،

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

<sup>2</sup> أحمد عفيفي ، نحو النص ، إتحاد جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 ، ص 18 .

<sup>3</sup> براون و بول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي و منير التركي ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، دط ، 1997 ، ص 24 .

<sup>4</sup> خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصة للنشر ، حيدرة ، الجزائر ، دط ، 2000 ، ص 167 .

<sup>5</sup> فولفجانج هانويه منه و ديتر فيهيفجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر : صالح فاتح الشايب ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، دط ، 1997 ، ص 21 .

<sup>6</sup> جميل عبد المجيد، البدع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر، دط، 1998 ، ص 65 .

<sup>7</sup> سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص 24 .

<sup>8</sup> الطيب دبة ، مبادئ في اللسانيات البنيوية ، دراسة تحليلية ابستمولوجية ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، دط ، 2001 ، ص 152 .

<sup>9</sup> ربيعة العربي، الحد بين النص و الخطاب ، مجلة علامات ، العدد 33 ، المغرب ، 2010 ، ص 36 .

وعلاقته به كعلاقة الجزء بالكل. كما تجاوز التوزيعيون النظرة التقطيعية للخطاب، إلى نمط من العلاقات الاستبدالية والعلاقات التركيبية، وذلك بإدراج مفهوم "التحويل" بين الخطاطات التركيبية للجملة في إطار تحليل الخطاب.

والملفت للنظر أن هاريس عد الخطاب متوالية جمل أو قضايا ذات بعد ثقافي، بوصفه يحيل على معطيات غير لغوية، فقد أُلحَّ على العلاقات الضمنية القائمة بين الخطاب والسلوك الثقافي، لكنه يبقى تحليلاً صورياً محايداً، تدرس بموجبه قواعد اللغة دون ربطها بالمعنى أو السياق. ومحمل القول، ههنا، أن التحليل البنيوي يسمح بتجاوز مستوى البنية، لكن بدون بلوغ مستوى الخطاب، الذي هو تحديداً مجال يلتقي فيه البعد الاجتماعي بالبعد الذاتي<sup>1</sup>.

لقد تطور مجال تحليل الخطاب تطوراً ملحوظاً في فرنسا، بتأثير من هاريس نفسه، إذ ظهر اتجاه عرف بـ "لسانيات النص"، أو (لسانيات ما وراء الجملة)<sup>2</sup>، وهو الاتجاه الذي يتخذ النص كله وحدة للتحليل، ولعل أبرز رواده:

- ايزنبرغ ( Eisenberg ) اهتم بالبحث عن الأدوات التي تنظم علاقات الجمل بعضها ببعض، كالضمائر، و أدوات التعريف، والاقتران بعلائق سببية أو فائية، أو أي علاقات أخرى<sup>3</sup>.

- هارفيج ( Harvey ) : الذي قدّم نموذج استبدال تتحرك فيه العناصر على المستوى الأفقي، وغلب عليه إدراك النص وظيفياً، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية- التداولية<sup>4</sup>.

- فان دايك ( Dyke ) : قدّم عدة نماذج ودراسات حول النص، وصفاً و تفسيراً ، وقد اعتمد فيها على عناصر غير لغوية، أدخل فيها مكونات نفسية و منطقية -دلالية، واتصالية تداولية، إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية - التداولية<sup>5</sup>.

كذلك تبلور مفهوم الخطاب مع رولان بارت ليأخذ معنى الجملة الكبيرة، والتي ليس بالضرورة عنده أن تكون وحداتها محض جمل، وإنما المقصود بالجملة الكبيرة نظام الوحدات التي تشكل الخطأ، مثلما لأية جملة وحداتها الصغرى التي تشكلها<sup>6</sup>، فللخطاب وحداته وقوانينه ونظامه القاعدي...ومن ثم وجب أن يكون للخطاب موضوع لسانيات أخرى، مكانها ما بعد الجملة، حتى ولو كان الخطاب ذاته مؤلفاً من جمل فقط<sup>7</sup>.

هذا التصور قاد بارت إلى اعتبار القصة جملة كبيرة، شأنها في ذلك شأن أي جملة، فالقصة تشارك بنيويًا في الجملة<sup>8</sup>، غير أنها لا تستطيع مطلقاً أن تحتزل نفسها إلى مجموعة من الجمل، كما أن قراءتها لا تعني الانتقال من كلمة إلى أخرى؛ بل الانتقال من مستوى إلى آخر<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>2</sup> روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص 65.

<sup>3</sup> إبراهيم خليل، في اللسانيات و نحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 187.

<sup>4</sup> سعيد حسن مجري، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات، الشركة المصرية لوجمان، الجيزة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997، ص 94.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>6</sup> رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ص32.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص 33.

<sup>9</sup> المرجع نفسه، ص 37.



نجد "بارت" يتفق مع "هاريس" في أن حدود الخطاب ينبغي أن لا تبقى رهينة الجملة، إذ « أن اللسانيات إذ تتوقف عند حدود الجملة، فإننا نجد أن تحليل القصة يتوقف عند حدود الخطاب، ولذا يجب أن نتجاوز بعد ذلك إلى علم آخر للإشارة<sup>1</sup>».

إنَّ جُلُّ التيارات تتفق على أهمية الخطاب في أداء أغراض اجتماعية ومؤسسية تتعدى الجملة، فأصبح الخطاب من القضايا الأساسية التي تهم اللسانيات في عصرنا.

## الحد بين النص و الخطاب

إنه على الرغم من تخطي الجملة في الدراسات اللغوية والنقدية في مجال تحليل الخطاب، إلا أن هذا لم يكف لدفع الغموض الذي اكتنف مفهوم الخطاب، خاصة بعد طرح إشكال التداخل الحاصل بينه وبين بعض المفاهيم، التي تقاربه في الوظيفة، مثل: الكتابة والعمل الأدبي والقراءة والنص، هذا الأخير يعد أكثرها تداخلا مع الخطاب.

يرى قريماس (Greimas) و كورتيس (Cortés) أن النص يرتبط بالكتابي التشكيلي، والخطاب بالشفوي الصوتي، حيث يقولان: إن النص بوصفه ملفوظا فهو يتعارض مع الخطاب، وذلك تبعا لمضمون التعبير (غرافيكي أو صوتي) المستعمل بغرض إظهار الإجراء اللساني، وحسب بعض علماء اللسانيات مثل رومان ياكبسون فإن التعبير الشفوي، وبالتالي الخطاب، هو الحدث الأول للكتابة، التي تصبح مجرد مشتق وترجمة للتجلي الشفوي<sup>2</sup>.

هذا ويورد قريماس ملاحظة هامة حول التداخل المفهومي بين المصطلحين، يقول: « إن كلمة نص غالبا ما تأتي مرادفة لكلمة خطاب، خاصة أثناء التفسير المفهومي في اللغات الطبيعية، التي لا تمتلك مقابلا لكلمة الخطاب (الفرنسية والانجليزية مثلا)، وفي هذه الحال فإن السيميائيات النصية لا تختلف في الأصل عن سيميائيات الخطاب»<sup>3</sup>.

ويرى محمد عابد الجابري أن للنص و الخطاب مفهوما واحدا، يقول: « النص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فهو خطاب... الخطاب باعتباره مقول الكاتب... فهو بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر... فالخطاب من هذه الزاوية يعبر عن فكرة صاحبه، فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص76.

<sup>2</sup> Greimas (A J) et Cortes (J) : Sémiotique: Dictionnaire raisonné des sciences du langage. Hachette ;p 389

<sup>3</sup> ibid , p 390 . نقلا عن : المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

<sup>4</sup> محمد عابد الجابري ، الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 5 ، 1994 ، ص 8 .

في حين يميز فان دايك تمييزا دقيقا بين النص والخطاب؛ إذ يرى «أن الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية ونتيجتها الملموسة، أما النص فهو مجموع البنات الآلية التي تحكم هذا الخطاب، وتعبير آخر فإن الخطاب ملفوظ (أو تلفظ) ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية، بينما النص هو الشيء المجرد والافتراضي الناتج عن لغتنا العلمية»<sup>1</sup>.

ويعد المعيار الأكثر أهمية عند دايك هو خاصية التماسك أو الانسجام، هذا المفهوم «أخذه من أصحاب الاتجاه المعروف بالنحو الوظيفي عند هاليداي ورقية حسن... هذه الخاصية التي يطلق عليها العلماء البريطانيون اسم: النصية»<sup>2</sup>، والتي يوجد لها مبدأ التماسك، القائم على التابع المنظم و التضافر المقنن لوحداث النص الصغرى، إذ ينظر إليه على أنه «بنية شمولية لبني داخلية، من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص، ثم إلى النصوص الأخرى»<sup>3</sup>.

وعلى العموم يرى فان دايك أنه في معظم الحالات لا بد من توفر معايير نصية أو سياقية، تجعلنا متيقنين أننا بإزاء نص، منها وجود بداية للنص ونهاية، سواء تعلق الأمر بنص مكتوب أو شفوي، وتوفر مبدأ التماسك والوحدة يقترب مفهومه عند الكثير من الدارسين لمفهوم الخطاب، إذ يرى بول ريكور «أن النص يعني الخطاب مسطورا ومنمقا على السواء»<sup>4</sup>.

هذه الصفة-التنسيق-الملازمة لهيئة الخطاب و شكله لن تكون سوى وظيفة التأثير في المتلقي، باعتبار النص أو الخطاب رسالة موجهة بالضرورة إلى متلق (مستمع أو قارئ)، بغض النظر عن طبيعة مادة تلك الرسالة، وهو ما يراه بنفست (E Benveniste)، إذ يعرف الخطاب بأنه «الملفوظ منظورا إليه من وجهات آليات و عمليات اشتغاله في التواصل»<sup>5</sup>، ويعني بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم... هذا الفعل هو عملية التلفظ، ويضيف: «إنه كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا، حيث يسعى الأول إلى التأثير في الثاني بكيفية ما»<sup>6</sup>.

نستنتج مما سبق أن الخطاب ألصق بالظاهرة الكلامية، التي ترتبط بالفرد، والذي يسعى إلى إفهام مخاطبه والتأثير فيه ، قصد إقناعه والوصول به إلى مرتبة اليقين. ولكي «تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي سياقًا تحيل عليه، وبعد ذلك سننا مشتركا، كليًا أو جزئيًا، بين المرسل و المرسل إليه، يسمح بإقامة التواصل و الحفاظ عليه»<sup>7</sup>.

إنَّ أول من وضع مخططًا لعملية التواصل هو رومان جاكسون (R. Jakobson)، ويتألف هذا المخطط من ستة عوامل هي: المرسل، والرسالة، والمرسل إليه، والسنن، والمرجع، والقناة، حيث يولد كل عامل من هذه العوامل وظيفة لسانية

<sup>1</sup> قادري عليمه، التداولية وصيغ الخطاب، من اللغة إلى الفعل التواصلية، ص 600.

<sup>2</sup> أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، دط ، 1987 ، ص 87 .

<sup>3</sup> عبد الله الغدامي ، الخطيئة و التكفير ، من النبوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنموذج معاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط4 ، 1998 ، ص 90 .

<sup>4</sup> بول ريكور ، نظرية التأويل ( الخطاب و فائض المعنى ) ، ص 66 .

<sup>5</sup> إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999، ص 10.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مختلفة، كما لا تتحقق الرسالة اللغوية إلا من خلال تحليل الوظائف الست التي تتحكم في عملية التخاطب « فاللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها»<sup>1</sup>.

كل هذا يوسع من مفهوم الخطاب ويجعله موضوعا «لا تعنى به اللسانيات المحضة، وإنما نظرية الاتصال، والسيمولوجيا، ونظرية التلقي أيضا، مما يدل على تعدد المستويات التي ينطوي عليها الخطاب، تبعا لتوجيه النظر إلى مستوى ما فيه»<sup>2</sup>.

## ■ فروق وتحديدات مختصرة:

الخطاب	النص
- هو مجموعة نصوص متشابكة، بينها علاقات.	- هو الكلمات الموجودة على الصفحة.
- هو الكلام Parole (حسب سوسير).	- هو أي كلمة يمكن قراءتها، أو العبارات المكتوبة .
- هو كذلك وحدة لغوية تتجاوز أبعاد الجملة بحسب هاريس.	- مجموعة من الكلمات والرموز والأرقام التي تنقل رسالة إلى المتلقي. مثلا: الخطاب الاعلامي: النص فيه يتمثل في محتوى الرسالة، لا شكلها الخارجي ، أو وسيلة تقديمها.
- لا يمكن تغييره بعد كتابته أو طباعته.	- النص الأدبي بناءً لغوي مفتوح البداية، ونهايته مغلقة.
- متغير عابر إذا لم يتم تسجيله.	- النص هو الكتابة.
- يمكن تصحيحه أو تغييره أثناء تقديمه للآخرين.	- النص ثابت دائما.
- الخطاب وسيلة للتفاعل الفوري بين الأشخاص.	- النص وسيلة اتصال ونقل معلومات من زمن لآخر.
- يميل الخطاب إلى الجمل البسيطة وبعض التكرار، باستثناء الخطاب الرسمي أو الإخباري أو الفني، كما في الأفلام والمسلسلات.	- النصوص أعقد من الخطابات، لاعتمادها على الجملة الطويلة والقصيرة وعلامات الترقيم وغيرها.
- في الخطاب، يتم إبداء الملاحظات الفورية والتعليقات بكل سهولة.	- كاتب النص لا يحصل على ملحوظة فورية من القراء.
- يفتقد الخطاب لعلامات الترقيم.	- كاتب النص يستخدم ما يدعم كتابته، مثل علامات الترقيم والعناوين والتصاميم والألوان والرسومات.
- الخطاب لا يمكن إعادته أكثر من مرة إلا إذا تم تسجيله.	- النص متاح يمكن قراءته بسهولة أكثر من مرة وتحليله.
- الخطاب يمكن أن يوظف مفردات عامة أو بعض لازمات الكلام المتكررة.	- النصوص تعتمد على النحو بصورة أساسية في تكوينها.
- الخطاب وحدة كلامية أكبر من الجملة.	

<sup>1</sup> الطاهر بومزير، التواصل اللساني و الشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الدار العربية للعلوم - ناشرون، بيروت، منشورات، الجزائر، ط 1، 2007، ص 13.

<sup>2</sup> عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، ص 109.

<p>-الخطاب حسب فان دايك: استعمال اللغة ودراسة الاستعمال الفعلي للغة من قِبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية.</p>	
---	--

تحليل الخطاب	علم النص
<p>-تحليل الخطاب مصطلح مركب يعني أن نستخدم العديد من المناهج لتحليله ونقله من مجهول إلى معلوم. فكلما تحليل تعني شرح وتفسير أجزاء الخطاب، والكشف عن أجزائه المختلفة والمتنوعة ليصبح واضحاً مفهوماً.</p> <p>-يتطلب تحليل الخطاب وقتاً طويلاً لفهم معانيه وترابطاته مع نصوص وخطابات أخرى ومضمراته ودلالاته وأهدافه، وعناصر القوة والضعف فيه. كل ذلك يتطلب خبرة كافية وبجثاً معمّقا.</p>	<p>-علم حديث. ينظر في جودة النص.</p> <p>-يدرس النص بوصفه مجموعة من القواعد الدلالية والنحوية والإدراكية.</p> <p>-يبحث ويحلل الخصائص التي تمكنا من فهم النصوص، ولا سيما المعقد منها، وفي ظل الاختلاف بينها في الصياغة والسياق والمعنى والنوع.</p> <p>-علم النص لا يتخصص في البحث بمجال علم النفس أو الاجتماع وغيرها من العلوم، لكن يمكن التوصل من خلالها إلى بعض المعلومات العامة والمعرفة حول النصوص المختلفة ومعانيها.</p>

#### ■ احتوائية الخطاب للنص:

- بين النص والخطاب توجد علاقة احتواء قوية.
- الخطاب بهذا المفهوم: مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة والمتحدة، ذات نظام بنائي وبنية منطقية منظمة، يشمل كل ما هو منطوق أو مكتوب.
- الخطاب أوسع من النص، أي أنه متضمن له.
- الخطاب مجموعة من المنتجات الفكرية التي يُراد توصيلها إلى متلقٍ عبر نصوص مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، والتي تقدم موقفاً شمولياً أو جزئياً من قضية أو مشكلة قائمة أو مفترضة.